

الصحف والاعلانات المصققة على الجدران في الساحات العامة . كان الشعر قد التقى بالمجموع الشعبية التي اقبلت سريعاً على الثقافة الفكرية .

\*\*\*

وما ان انتهت الحرب الاهلية حتى ترك كثير من المقاتلين بناذهم

ليأخذوا القلم . وفي غضون بضعة أشهر ظهر عدد كبير من الشعراء الجدد الذين خلقتهم الثورة او جددت دماهم : ادوار باغريتسكي Bagritski في اوديسا ، ونيقولاي أساييف Asséiv في الشرق الاقصى ، ونيقولاي تيخونوف Tikhonov في ليننغراد ، وبافل انطوكولسكي Antokolski في موسكو ؛ كان كل من هؤلاء يحمل الى الادب موضوعاته الخاصة وافكاره وآماله . ولكن كانت تجمع بينهم كلهم جثة الافكار والصور والمعاني والأحاسيس الانسانية التي خلقتها ثورة اكتوبر . كان روح التجديد للشعر السوفيياتي يدخل من جديد في تقاليد الشعر الروسي ، وكان الشعر السوفيياتي يستوحى كنوز لومونوسوف Lomonosov ودرجافين Derjavine وجو كوفسكي Joukovski وبوشكين Pouchkine وسائر شعراء ديسمبر ليخلق قبيماً فنية وخلقية جديدة تعبر عن جميع نزعات الروح الشعبية والروح الانسانية . وكان ادوار باغريتسكي في اول امره رومانتيكياً مأخوذاً بالابطال القدامى وبالثورات الشعبية في العصور الاولى ؛ ولكن سرعان ما حل محل هؤلاء الابطال التاريخيين ابطال احياء ينتمون الى معارك الثورة . وقد صور الشاعر في احدي قصائده تصويراً مؤثراً المصير المجمع الذي لقيه الفلاح الاوكراني « اوباناس » الذي خان قضية الشعب فانتت حياته بصورة مخجلة . وقد خلق في هذه القصيدة نفسها شخصية البلشفيكي في زمن الحرب الأهلية . وتمتاز هذه القصيدة اجمالاً بحسّ دقيق للطبيعة والالوان وعبير الحياة ، وتمثل نزعة رومانتيكية ملحمة جديدة في الشعر الروسي . والواقع ان وضوح شعر باغريتسكي وبساطته يعبران بقوة عن الحياة الخلقية التي كان يعيشها انسان تلك الفترة . كان الشاعر يحس بأنه « مسحور » بالأرض والناس والتاريخ الصاعد ، فكان باغريتسكي يشي عبر متناقضات ومناقشات لنفسه ، نحو مفهوم للحياة مشع ومكتمل .

اما نقولاي أساييف ، فقد كان رفيق مايا كوفسكي في الجبهة ، وقد احتذاه في حل مشكلات الفن الشعري العامة وفي طريق النظم كذلك . على انه كان اضعف منه « بنائية » ، وهو لم يعرف النقد ولا التهاويل

الشعرية ، وقد وفق خاصة في قصائده الغنائية ؛ ومن أشهرها « ستة وعشرون مفوضاً من باكو » التي يصور فيها هؤلاء المفوضين الذين اغتالهم بنذالة الانكليز المتدخلون .

ويصور نيقولاي تيخونوف خطوطاً واضحة لشخصيات ابطاله الذين هم رجال حازمون اشداء اقوياء العزيمة لا تحطمهم اشد المحن ولا تملأهم مرارة ، وقد اكتسب من المارك تبصراً وتعقلاً ، وهو يجسد جيلاً انتزعته الثورة

# الشعر الروسي الحديث

بقلم : أ. غرنبرغ

كانت الجمهورية السوفيانية الفتية في اعوام الحرب الاهلية ( ١٩١٨ - ١٩٢١ ) تصارع اعداءها الاستعماريين الذين كانوا يجاولون خنق الثورة عن طريق الحصار . وكانت هذه هي الحقبة التي كانت بلاد السوفييات تثبت فيها قواعد دولة

اشتراكية وتعمل لذلك جاهدة . وكان للفنانون الموهوبون ، من غوركي الذي طارت له شهرة عالمية ، الى الشاعر الناثر الشاب مايا كوفسكي ، يسمون الى جمع اصحاب المواهب الادبية حول علم السوفييات ، ليقودهم في طريق الابداع الثوري . وهكذا انتفض عدد من الفنانين الكبار ، فكتب الشاعر الروسي الكسندر بلوك Block قصائده « الالتي عشرة » وأعلن شاعر روسي كبير ينتمي الى الجيل السابق هو فاليري بريوسوف V.Brioussov تأييده للثورة . وصاح فلاديمير مايا كوفسكي في « قصيدته - المنهاج » التي عنوانها « امر يومي رقم ٢ الى جيش الفن » متوجهاً الى زملائه : « عمال للفن ، لا وعاظ طويلو الشعر ، هذا ما نحن بحاجة اليه اليوم ! » وكان يهاجم ابواق المدارس الادبية المنحلة الذين كانوا تأمّن في عناكب القوافي ، عاجزين عن رؤية القضايا الجديدة التي كانت تنتصب امام الشعر . وقد خلق مايا كوفسكي طريقة شعرية خاصة به ، فعالة واسعة مرنة ، قادرة على ان تتناول مختلف موضوعات الحياة الثورية . كانت حواراً رائتاً ، طبيعياً ، يكشف عن تنوع شديد الفنى بالالوان والارنانات . إن مايا كوفسكي هو الشاعر الغنائي المبدع ، وسيد الشعر الهجائي والاعلان الدعاوي المقتسى ، ومجدد الكلمة الشعرية ، وهو الذي تابع خير خصائص الشعر الروسي المعرم بالتجديد ؛ ولقد وجد خير ينبوع لشعره في الحياة الشعبية التي كانت تضطرم بهزات عنيفة ، وكشف له حس المرهف ، حس الثوري ، عن العلاقات المعقدة التي تصل الاحداث الاجتماعية فيما بينها وتعمل منها بانياً للحياة . ومن هذه الزاوية ، يعد مايا كوفسكي شاعراً من طراز جديد . وقد كتب معرفاً موضع الشاعر من الكفاح من أجل الاشتراكية ان « الكلمة هي القائد الاعلى لقوة البشر » ، فكان يخدم الثورة بالكلمة الشعرية فيرفع بذلك مهمة الكلمة اعلى مما كانت في اي وقت مضى . ولقد انشد في بعض معاركه القلمية هذه الكلمات المشهورة : « واي بأس في ان اكون من الشعب القائد ، وان اكون في الوقت نفسه من الشعب الخادم » وقد كتب قصائد ملحمة عن

احداث ذات اهمية تاريخية عالمية ، كما انشأ مقاطع مرحة ونظم قصائد هجائية لاذعة ، وقصائد غرامية مؤثرة ، وظل هو نفسه : ففي كل سطر من سطره كانت تظهر شخصيته المبدعة .

وكان الى جانب مايا كوفسكي شعراء آخرون ذوون نزعات مختلفة ، ومنهم « دميان بيادي » D. Biédny الذي كان يبدع في حديثه الى ملايين القلوب البشرية عن عظامم القضايا وصعائرها . وكانت اشعار الشعراء تشر آنذاك في

لم يكن يسيراً على « الآداب » ان تعهد الى اديب من ادباء العربية في كتابة دراسة عن الشعر الروسي الحديث ، كما فعلت في الدراسات المنشورة في هذا العدد عن الشعر الاجنبي . ولذلك لم نجد بدأ من ان تنقل الى القراء - ببعض الاختصار - بحثاً نشرته مجلة « الآداب السوفيياتي » (العدد التاسع ١٩٤٧) يكشف عن مفهوم الشعر لدى الشعراء السوفيياتيين المعاصرين ولدى المؤرخين والنقاد ، على حد سواء . ولا حاجة الى تذكير القراء والادباء بان المجال مفتوح لمناقشة هذا المفهوم .

الاشتراكية من مستودع الاستعمار. ولقد قيل عن بطل تيخونوف انه محارب وحاج ، وهذا تعريف غير كامل ، فهو في الواقع محارب مفكر وحاج وواع يسير نحو هدف واقعي جبار .

واما انطو كولسكي ، فقد كانت تعمر فكره وجوه بطرس الاول وروبسيير وبوشكين وديكنز ودرجايفين وفرنسوا فيون وغوغول وبلزاك وغوليفر ودون كيشوت ... إنه من هؤلاء الشعراء الذين يمون عصرهم ومصيرهم اذ يحاورون أشخاص الماضي، وليس في قصائد هذا الشاعر التاريخية اي اجترار او بمت الماضي، انه شعر مدني يجمع بين الشاعرية والصحافة ، وبين العاطفة المنيفة والتحليل القاسي ، وبين المزاج والعقل . واياته تفيض حركة وجرسه قوي التعبير ولغته عصبية موجزة . وآثار انطو كولسكي « دينامية » في جوهرها .

ولسنا نرغب في إقتال هذه الدراسة باسماء كثيرة ، ولكن لا بد لنا من ذكر ميخائيل سفيتلوف Svetlov الذي مجد في قصيدته « غرناطة » انتصار الشيوعي الاوكراني الشاب الذي يضحي بحياته لسعادة الفلاحين الاسبان البعيدين . وقد صور الكسندر بزيمانسكي Bezymenski والكسندر جاروف Jarov حياة الشاب تصويراً حياً وظريفاً ، ووصف ايوسيف اوتكين Outkine في قصيدته « قصة موتيليل رو » المنظومة بشكل حوار ، التغييرات التي ادخلتها الثورة على مدينة زيفية صغيرة ... وقد بدأ عشرات من المؤلفين الموهوبين المثقفين ثقافة عميقة ، والمختلفين احدم عن الآخر ، في نظم الشعر خلال السنوات العشر الاولى من تاريخ الشعر السوفياتي . وقد ألقى هؤلاء الشعراء انفسهم مضطرين الى التأسر ، طرق جديدة بمحاربتهم تأثير النظريات الجمالية الرجسية ، وحاملي لواء التيارات الادبية الفاسدة . وكان يتضح يوماً فيوماً في آثار الشعراء انهم يدركون أهمية اختيار مفهوم العالم وتبني افكار الطليعة . والحق أن الشعراء كانوا ، فيما هم يمشون عصرهم وشعبهم ، يتابعون ايضاً مصادر إلهامهم . كانوا ينظّمون موضوعاتهم الشخصية ، وبالطبع كان

تكون الفرديات الشعرية يختلف ما بين مؤلف ومؤلف ، ولكن اتجاه التطور وموضوعه كانا واحدين : الانسانية الشريفة ، المكافحة ، الاشتراكية ، الاتصال الوثيق بالشعب وبالعصر ، ادراك قوانين التاريخ والمباني الرئيسية للوجود الانساني ولتنمو الاجتماعي ، الصمود ازاء اوهام الفكرة البورجوازية المصرية وامام زيفها .

كان على الشعراء ان يجدوا مبادئ غنائية وملحمية جديدة ، اشكالاً لغوية جديدة . ولقد احتل فلاديمير ماياكوفسكي المكان الاول في هذه الحركة ، كما كان شأنه في اعوام الحرب الأهلية .

\*\*\*

تابع سرغاي اسانين Essénine نتاجه حتى عام ١٩٢٥ ، وقد كان شاعراً غنائياً موهوباً جداً يحسن الاحساس بالطبيعة الروسية وتصويرها ، وكان يملك القدرة على ان يتحدث بصدق ووضوح عن ادق المشاعر واشدها تعقيداً ، ويبدع في تسجيل السمات النموذجية للاشياء .

وقد عانى اسانين ازمة مؤلمة في السنوات الاخيرة من حياته . لقد

بدأ كشاعر متحد كل الاتحاد بالقرية والمزرعة ، ولكن القرية كانت قد قطعت مرحلة طويلة في اثناء الثورة ، فابتعد بمروراً كبيراً عن ماضيه ، ونشأ في القرية رجال جدد . وكان اسانين ، لانتمائه في الحياة البوهيمية وممارسته العلمية ، قد فقد كل صلة كانت تربطه من قبل بحياة الشعب . ولقد احس ، وهو الشاعر المخلص ، تفاهة الوحدة التي فرضها على نفسه ، وادرك ان « بلاده » و « مواطنيه » قد تقدموه ، وانه لم يعد يجد وسيلة للتفاهم مع القربيين منه ، ولكنه لم يكن يقوى على الانسلاخ عن الحياة البوهيمية . كان ينظم قصائد تطفح بالقلق واليأس والنقمة على نفسه . وجميع الذين احبوا اسانين يعلون انه كان في اعماق انتحاره الفاجع نقص في تقدير طاقاته ، ولولا حياته البوهيمية تلك التي كانت تلف مواهبه ، لاستطاع ان يجد الكلمات التي تعبر عن حبه للارض السوفياتية .

\*\*\*

اشرنا من قبل الى بعض السمات التي تطبع البطل الغنائي في الشعر السوفياتي . وفي الوقت نفسه كانت ترسم سمات للشعر الملحمي الجديد . ذلك ان الشعراء السوفيات لم يتابعوا تقاليد « الرواية المنظومة » التي كانت تميز القرن التاسع عشر ، وانما راحوا يلتمسون مبادئ جديدة لرسم اللوحات الملحمية ، لقد كان موضوعهم يتطلب منظورات واسعة ، وتصويراً شعرياً حراً ، وما كان لشيء ان يحول بين هذا الموضوع وبين المتطلبات الموحية للحقيقة التاريخية ، ما دام التاريخ هو بطل الشعر الملحمي و « إلهه » .

ولا شك في ان خير انتاج ماياكوفسكي الملحمي قصيدته « فلاديمير ايليتش لينين » الذي يرسم فيها ، لوحة بعد لوحة ، تاريخ الكفاح التحريري للطبقة العاملة ؛ والشاعر يصف وصفاً مليئاً بالحياة الدور الذي لعبه لينين في هذا النضال ، كمفكر ومرتب وصديق للبشر ، كما يصور مشاهد الآم الشعب بعد موت القائد المحبوب . لقد كان ملايين من البشر يتابعون محبوباً ، وهم الى جانب لينين ، الطريق الذي قطعتة البلاد ويتجهون بانظارهم الى المستقبل

فكيف وفق الشاعر الى بلوغ تعداد هذه الصور ، والى هذه السعة في المنظورات ، والى هذه السمة المحسوسة لكل خط من خطوط الوصف ؟ لقد ادرك ذلك بان انتقل من تصوير الاحداث الى تفسير معانيها تفسيراً شعرياً وذاتياً . وتلك هي السمات التي نجدتها ايضاً في عدد من القصائد الكبرى كقصيدة نيقولاي اساييف « ستة وعشرون » وقصيدة تيخونوف « وجباً لوجه » الخ ... وقد اثبت ماياكوفسكي بقصيدته « هذا حسن » ان امتزاج العناصر الغنائية والملحمية هو خاصة الشعر السوفياتي .

\*\*\*

وعلى عتبة ١٩٣٠ ، طرأت على الشعر السوفياتي تغييرات كانت صدى التغييرات الهامة التي طرأت على الحياة السوفياتية برمتها . انها سنوات المشروع الستاليني الاول ، ولم يكن الشعر ليستطيع تجنب هذه القضية الكبرى : تحرير الانسان من مخلفات الماضي المنوية والمادية . وكان شعراء الجيل الماضي قد قطوا هم انفسهم مرحلة هامة في تحرير افكارهم ، وكانوا هم اقدر الجميع على التقدم تقدماً مجدياً فاعلاً . اما اولئك الذين كانوا قد بلنوا بداية سنوات



ماياكوفسكي

١٩٣٠م ما زالوا مستمرين في «دراسة علاقاتهم مع عصرهم» بواسطة مقاييس قديمة ورثوها من روح عصرية غريبة على تقاليد الشعر الروسي ، فانهم لم يستطيعوا السير في طريق التقدم .

وفيا كان الشعراء يبحثون بحماس عن طرق جديدة ، وفيما كان إنتاج الفنانين الاشتراكيين والمناهضين للفاشية يكسبون الشعر لهجة ونكهة ، صرح بوريس باسترناك Pasternak بان الفن « اكثر روتينية من الروتين نفسه » وانه « حين تكون العاطفة العظمى في كل مكان » فان على الشاعر ان يظل « شاعراً » ... في انتظار اي شيء ؟ ولقد انتقم الشعر من المتشككين الذين لم يكونوا يؤمنون بطاقاته . فبعد القصائد الملحمية التي كتبها باسترناك ، ومنها « ١٩٠٥ » و « المدرعة بوتامكين » والقصائد الغنائية الملهمة ، اخذ يكرر نفسه ، وهذا منحدر خطر للفنان . وفيما بعد ، في اثناء الصراع ضد الفاشية ، اراد ان يتكلم عن الناس ، لا عن نفسه ، فلم تنتج ريشته الا ابياتاً مفتضبة متكلفة ، محرومة من الوعي الشعري .

\*\*\*

وقد حدثت كذلك تغييرات هامة في بدء العقد ١٩٣٠ - ١٩٤٠ في نتاج الشعراء الذين سبق ان عاشوا في الحياة الثورية ووجدوا فيها مصدر الهامهم . وقد لعب موضوع العمل والابداع الاشتراكي الدور الحاسم في شعرهم . وموضوع العمل هو الذي يقوم عليه ديوان ادوار باغريبتسكي الذي عنوانه « المتصورون » . ونحن لا نرى الشاعر يعدل هنا عن التفتي بالطبيعة التي هي اثيرة ابدأ على قلبه ، بل بالمعكس ، فقد كانت المناظر تعمرها من قبل اشباح مهمة نفس فيها صدى من الشعر الرومانتيكي القديم ؛ ولكن ها هوذا الشاعر يكتسب مفهوماً عميقاً وواضحاً للحياة ، فيخلق صوراً مشعة صافية مركزة تبدو الطبيعة خلالها مفتوحة لعمل الانسان ، مشدودة اليه ابدأ . وهكذا يصبح رجل المجتمع الاشتراكي الجديد بطل قصائد باغريبتسكي وقال تخونوف في المؤتمر الاول للكتاب السوفيات « إن تصوير بطولة الورش الكبرى يعني اغناء اشعارنا بمجموعة من الكلمات الجديدة والافكار الجديدة ، الحياة الحقيقية التي لا يمكن فهمها عبر تأثرات الآخرين . »

وفي شعر انطو كولسكي لهذه الفترة نرى انبثاق بطل جديد: المهندس ، والبناء والمصلح . إن الشاعر مأخوذ بلوحة جهد خلاق هادر ، وهويتوخي الشعر القادر على التعبير عن هذه الوثبة وعلى تخليد صورتها . وقد اتج قلبه في هذه الاثناء بمجموعة من القصائد خص بها ارمينيا وجورجيا وسائر شعوب الاتحاد السوفياتي وجمهورياته .

وحوالي ١٩٣٠ دخل حلبة الشعر فريق جديد من الشعراء ، على رأسه الكسندر بروكوفيف Prokofiev والكسي سوركوف Sourkov والكسندر تفاردوفسكي Tvardovski ومرغريتا اليغرا Aligher وكونستانتان سيمونوف Simonov وسيرغي ميخالكوف Mikhalkov واقفاني دولماتوفسكي Dolmatovski وكثيرون سواهم .

وقد اشترك بروكوفيف وسوركوف في الحرب الاهلية التي كرسا لها نتاجها الشعري الاول . ولكن سوركوف عمل على ان يبث في شعره الغنائي روح القسوة التي كان يتحلى بها المقاتلون في عهد الثورة ، في حين ان بروكوفيف يقدم لنا هؤلاء المقاتلين في إطار الشعر البهيج المشرق . ولئن كان شعر بروكوفيف وتفاردوفسكي يلتقي في الغرض ، فهو يختلف كثيراً في التعبير . ففي قصيدة « التاريخ الريفى » وقصيدة « بلاد مورافيا » انجبه تفاردوفسكي نحو هدف كان بروكوفيف قد بلغه من قبل : تصوير نموذج جديد من العلاقات بين البشر في المزارع والارياف التي ادركها الاصلاح الاجتماعي ؛ على ان شعر تفاردوفسكي يميل الى الشكل الوصفي ، بينما يتميز

شعر بروكوفيف بـ « الموضوعية » ويتأوج الوان التصوير . إن كلامها يخلق قيماً شعرية مختلفة ، ومقارنته هذه القيم نفس غنى الالوان في الشعر السوفياتي وتنوع المواهب الشعرية .

اما مارغريتا اليغرا فقد كانت تصور بحس منطقي ومودة مكتومة الوجه الخلقى للرجال ، ولا سيما اولئك الذين بدأت حياتهم الواعية في الاعوام التي احرزت فيها البلاد انتصارات حاسمة في البناء الاشتراكي . واما شعر سيمونوف فعظمه قصائد غنائية ومقطوعات تاريخية ؛ ويبدو محور نتاجه حول الارادة القومية على تكيف الحياة والانتصار على جميع العقبات ؛ وقد كان شعره في الحق صدى عزيمته الشعب السوفياتي على ان يعيش كما يريد ، وان يحسن العالم الذي خلقه والذي تقوم فيه العلاقات بين الناس على اساس جديدة .

وفي عام ١٩٣٥ حضر نيقولاى تخونوف مع عدد من الكتاب السوفيات المؤتمر العالمي للدفاع عن الثقافة في باريس ، فنشر بعض شعره عن اوروبا . وقد رأى الشاعر عبر انوار باريس الليلية اللامعة ، وفي الصمت الكئيب الذي كان يغمر بولونيا المسحقة بجرمة النبلاء الرجعية ، وعلى وجه المانيا الهتارية وايطاليا الفاشية ، رأى نذر خطر رهيب وشيك . ولقد رأى ايضاً قوة الشعب والارادة التي تنضح في قلب الجموع لمحاربة الفاشية والقوى التي تشل هذه الارادة . وان القصيدة التي ينتهي بها ديوان « القناع الواقي » لا تصور فقط فظاعة الحرب المهذبة بالشوب والتي يلبس اوارها الاستعماريون ، بل تصور ايضاً فجر النصر الشعبي المرتقب . إن الشاعر يرى ان « قناعاً من المطاط ، يضيق الخناق على رأس اوروبا ، فليس هناك ضحكة ولا بسمة . إن الغابة صامتة ، وان الحشائش لا تتهامس بعد » هو يستشعر مرارة الحزن المقبلة ، ولكنه ينظر الى المستقبل بعين مطمئنة .

\*\*\*

وقد كشف الشعر السوفياتي ، منذ الأشهر الاولى من الحرب ، عن ان هذه الصلابة في النفس والنفوذ في البصيرة لن يتزعزعا ، بل انها سيزدادان قوة وسط الحزن القاسية .

حين علمت البلاد اننا في حالة حرب

في هذا اليوم الاول من الرعب والته

اذكر جيداً اني حلت باليوم

الذي ستنلقى فيه البلاد نبأ النصر

هذا ما تقوله مارغريتا اليغرا في قصيدتها « زويا » التي صورت فيها بطولة تليدة بسيطة من موسكو انضمت الى حركة الانتصار . ولم يكن الشعراء آنذاك يكتفون بمناداة النصر ، بل كانوا يريدون استشراف وجوه الرجال الذين سيعانون هذه الحزن ويجزجون منها منتصرين .

وقد كتب الكسندر تفاردوفسكي خلال الحرب « قصة مقاتل ، قصة فاسيلي تيوركين » ؛ وكانت القصيدة تصل الى القاريء مقطعات يهدف بعضها الى غاية عسكرية معينة ، بل الى عملية محددة . ولم يكن لهذه القصيدة موضوع ، ولا تركيب شعري واضح . ولإنما كان يتابع احداث الحرب التي ولد منها ويمكس تطوراتها . ومع ذلك ، فقد كان القراء يشعرون ، قبل وقت طويل من انتهاء الحرب ، ومن ثم قبل انتهاء القصيدة نفسها ، انها عمل غاية ان يقيم مجموعاً تركيبياً . وفاسيلي تيوركين شخصية من طراز خاص : انه يعبر تعبيراً تلقائياً عن خصائص شعب ، ويتقمص المزايا الخاصة للملايين البشر ؛ وهذه المزايا هي احياناً روح فكاهية لاذعة ، و احياناً اخرى همسات شعرية حميمة ، وتارة تأمل عميق . وفاسيلي يجمع الخزم الى الشجاعة ، وروح البطولة الى حب السلاح ، والايمان بطاقاته وطاقات الوطن الى احساس عضوي

# الحمد المقس

[القصيدة الفائزة بالجائزة الثالثة في مسابقة الشعر - الموضوع: عودة اللاجئين]

وُيَحْمَلِقُونَ بِأَعْيُنٍ مُّحْمَرَّةٍ  
وَأَمْسَدَتِ الْأَيْدِي لَهَا !  
وَتَعَثَرَتْ خَطْوَاتِي الْخَيْرِي بِجِسْمِ أَخِي الصَّغِيرِ  
وَشَعْرَتُ أَنْي فِي مِحْيَطِ صَاحِبِ لَجَبِ يَمُورُ  
وَتَرَأَقَصْتُ فِي عَيْنِي الدُّنْيَا !  
وَعَامَ بَقْلِي الصَّمْتُ الْكَثِيبُ !  
وَسَرَيْتُ فِي دَوَامَةِ اللَّيْلِ الرَّهِيْبُ  
عَبْرَ الْأَزَقَةِ وَالْدُرُوبُ !  
وَطَوْتِي الصَّحْرَاءُ وَالصَّمْتُ الْمُرُوعُ وَالظَّلَالُ !  
وَنَدَاءُ أَخْتِي مَا يَزَالُ يَرِنُ فِي قَلْبِ التَّلَالُ !  
وَحَمَلْتُ أَقْدَامِي ، أَجْرُ هَزِيمِي  
وَأَجْرُ أَغْلَالِ الْأَسَى ، وَفَضِيحِي  
وَضِياعِ حَقِي فِي الْحَيَاةُ !  
وَضِياعِ أَرْضِي !  
وَصَرَخْتُ يَا اللَّهُ ! يَا اللَّهُ ! يَا حَامِي الرَّبُوعُ

بِاسْمِ الْمَحَبَّةِ وَالسَّلَامِ وَبِاسْمِ مُوسَى وَالْمَسِيحِ  
بِاسْمِ الْعَدَالَةِ وَالْإِخَاءِ وَحَقِّ تَقْرِيرِ الْمَصِيرِ  
بِاسْمِ الضَّمِيرِ الْعَالَمِيِّ وَبِاسْمِ مِيثَاقِ السَّلَامِ  
ذُجُوكِ يَا أُمِّي ! وَدَاسُوا فَوْقَ رَأْسِكِ بِالنَّعَالِ  
ذُجُوكِ يَا أُمِّي ! وَصَوْتُ فِي الْمَصَلَّى مَا يَزَالُ  
يَسْرِي بِأَدْعِيَةِ الصَّلَاةِ إِلَى الرَّوَابِي وَالتَّلَالِ  
وَعْيُونِكَ الْخَيْرِي ! وَنَظْرَتِكَ الْأَخِيرَةَ فِي ابْتِهَالِ  
تَرْنُو لَضَعْفِ أُنِي ! وَإِخْوَتِي الصَّغَارُ  
وَجَرِي أُنِي نَحْوِ الْحَقُولِ  
وَرَاعِهِ جَيْشُ الطِّفَاةِ !  
وَهُوتُ عَلَيْهِ قَذِيفَةُ حَمَقِي لِأَعْدَاءِ الْحَيَاةِ  
وَصَرَخْتُ يَا أُمَاهُ وَاحْتَبَسْتُ بِجَلْقِي صَرَخَتِي !!  
وَرَأَيْتُ أَخْتِي فِي يَدِ الْأَعْدَاءِ تَرْقُبُ نَجْدَتِي !!  
وَتَصِيحُ ! وَالْجُنْدُ الْغَلَاظُ يَقْبَهُهُونَ لَذَلَّتِي  
وَمَهَانَتِي ، وَيَعْرِبُدُونَ بِجِسْمِهَا

في هذه الفترة بالذات . وكذلك كان شأن فيرا انبر Vera Inber ، هذه الشاعرة التي ابعدت في اثناء الحمار بطول انسانية نادرة ، وكذلك الشاعرة الشاب اولغا برغولز Bergholz ، وبروكوفيا الذي كان يدعو الى «استئصال الآفة الالمانية» وينشد قصائد هادئة تمجد الوطن ، فكان الحب والكره يتسندان في شعره .

\*\*\*

ولا ريب في ان نور التجربة الروحية الذي انبثق في اثناء الحرب ضد الفاشية يضيء ايضاً الانتاج الذي أصدره الشعراء السوفيات بعد الحرب . ففكرة « السعادة لا تعني النسيان » هي الفكرة الرئيسية لقصيدة الكسندر تفارودوفسكي « البيت على حافة الطريق » فهي تحيي الاعمال البطولية التي قام بها المواطنين السوفيات البسطاء ، وتسجل الانتقال الى جهد الانشاء السلمي ومثل هذه فكرة قصيدة الشاعر الشاب الكمي نيدوغونوف Nédogonov « العلم على السوفيات الريفي » وهي حكاية غنائية عن المقاتل العائد الى مسقط رأسه .

ولقد حمل الجيل الجديد من الشعراء الشباب ، المقاتلين القدماء ، موضوعات جديدة واحاسيس جديدة وافكاراً تلتمقي طبعياً وعضوياً مع التيار العام للشعر السوفياتي . وهذه الدفقة المستمرة من الشعر هي نتيجة ثلاثين عاماً من الوان البحث والبراع . انها تثبت ان الجهد الذي بذلته الاجيال الثلاثة من شعراء السوفيات قد افضى الى تفتح فن الكلمة الالمانية للشعب .

عميق بالواقع ، وحب العمل الى البقاء الروحي ، اي جميع المزايا الخلقية التي تعيش في الشعب . وهي مزايا تمت بعد الثورة الاشتراكية ، بفضل الطاقة المدخرة التي اطلقتها :

اما الكمي سوركوف فقد اضحى صوت الجيش السوفياتي ؛ وهو قد امتزج به ، وتأثر بروحه العالية ، ومن هنا نشأت في شعره قوة الايمان والحقيقة . ولم يكن انتاج الجيل السابق من الشعراء اقل حرارة وشأناً في اثناء الحرب . وقد نصب باهل انطوكولسكي في قصيدته « ابني » صورة الشاب السوفياتي المعاصر . ولقد كتب هذه القصيدة إثر حادث مفرج ، وأهداها الى « ذكرى الملازم فلاديمير انطوكولسكي الذي سقط في ساحة الشرف في ٦ تموز ١٩٤٢ » على ان قصيدة « ابني » ليست ذات طابع شخصي يمتد الى قصيدة تمتاز فيها احاسيس الاب مع مشاعر المواطن . ولقد صور فيها فتوة بلد ، واحلام ابن وآماله التي لم تتحقق ، وإن آلام الاب نفسه تصبح هنا نوعاً من السلاح .

ويجدد بنا ان تنوّه شعراء ليننغراد المحاصرة ، فقد غادروا بيوتهم ليلزموا مكاتب الصحف و « بيوت الجيش الاحمر » ، ولكن كان بالامكان ان يراهم المرء غالباً في الملاهي وخنادق الجبهة ودور المصانع التي ظلت تعمل تحت نيران العدو . كانوا يتكلمون في المكبرات ، ويكتبون وينشرون مجموعاتهم الشعرية . وقد كان هذا شأن نيقولاوي تيجونوف ، فقد انتج في اثناء الحصار اكثر من الف قصيدة وقصة ودراسة ومقال صحفي ؛ وكان صوته ، صوت ليننغراد ، مسموعاً من البلاد كلها . وقد كتب قصيدته « كيروف معنا »